ثم سكت الباشا مرة أخرى كأنه يقول كلاماً آخر لا يجوز نشره ثم قال : يا بنى إن الأجانب لا يضعون الحمل إلا على من يحمل ؛ فاذا نحن توخَّينا مرادهم أرادوا لأنفسهم لا لنا ؛ واذا وافقنا لهم غرضاً جعلوه كالدينار فيه مائة قرش وأبوا إلا أن نصارفهم عليه بمائة . هم ويحك يمتازون فى معاملتنا لا فى سطور القوانين والمعاهدات فلنُبطل هذه العاملة يبطل هذا الامتياز

إن الحق يابنى استحقاقٌ لا دعوى ؛ وهذا التنازع على الحياة يحمل وسائله الطبيعية الانتزاع والمطالبة والتجرد له والدأب فيه والاصرار عليه . وكل الأقوياء يعلمون أن موضع الاعتدال بين غَصْب الحق وبين استرداده موضعٌ لا مكان له فى الطبيعة ؛ والأجنبى يعتمد علينا نحن فى جعله أكبر منا وأوفر حرمة . فاذا ألقى الشعب هذه الامتيازات من فكره وروحه وأعصابه وثارت فيه كبرياء الوطنية فاستنكف من الاستخذاء ونفر من الاختضاع وأبى إلا أن يعلن كرامته ، وصرف اهتمامه الى حقوق هذه الكرامة ، وأصر ألا يعامل أجنبياً يرى لنفسه امتيازا على وطنى ، وقرر ذلك فى نفسه ومكّنه فى رُوعه وأجمع عليه إجماعه على الدين ، إذا جاءت (إذا) هذه بشرْطها من الشعب ، جاء جواب الشرط من الأجانب بنزولهم عن الامتيازات وانحلت المشكلة . إننا يا بنى لا نملك ضغط السياسة ولكنا نملك ما هو أقوى ؛ نملك ضغط الحياة

لهم الامتياز بأنهم أجانب عنا ، فليكن لنا الامتياز الآخر بأننا أجانب عنهم فى العاملة ، مثلاً بمثل ، وما يفلُّ الحديد إلا الحديد

يقولون النظام الاقتصادى والمال الأجنبى . ولكن أرأيت المال فى يد الأجنبى إلا مالاً وتدبيراً وسلطة وسيادة ، من أنه فى يد الوطنى دَيْنٌ وإسراف ورقٌّ وذل ؟

لم يظهر لى إلا الساعة أن من حكمة تحريم الربا فى شريعتنا الاسلامية وقايةَ الأمة كلها فى ثروتها وضياعها ومُستغَلاتها ، وحماية الشعب وملوكه من الاسراف والتخرق والكرم الكاذب ووزر الاستعمار الاقتصادى وشل النفوذ الأجنبى

أما لو أننا كتبنا من الأول على أبواب « البنك العقارى » وأبواب ذرّيته : « يَمْحَق الله الربَّا » فهل كانت تقرأ هذه الكلمات الثلاث على أبواب تلك البنوك الأجنبية إلا هكذا : « محالٌّ خالية للايجار » .. ... ؟

(سيدى بشر . اسكندرية) مصطفى صادق الرافعى

خطب فلسطين
بين الصهيونية والاستعمار
للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

لا يزال العرب فى فلسطين ماضين على سنتهم — يقاتلون ، ويناضلون ، ويذودون عن حقيقتهم ، بل وجودهم . وقد توسط الأمير عبد الله بينهم وبين الانجليز غير مرة فما أجدت وساطته ، وسمع من زعماء العرب الذين استقدمهم اليه فى عمان أنهم ينتظرون منه أن يكف عن كلامهم فى ذلك إلا إذا كان يستطيع أن يبلغهم أن مطالبهم أجيبت بلا نقص ، وليصنع الانجليز ما شاءوا ، وليبلغوا بقوتهم مجهودها . ولو كان الأمر يحتمل المساومة لجنح العرب إلى السلم ، ولكنهم لم يبق لهم اختيار ، فاما أن يموتوا الآن مدافعين وإما أن يوطنوا النفس على الجلاء عن وطنهم والخروج من ديارهم إذا ظلت أبواب « الهجرة الصهيونية » مفتوحة . ومن هنا هذه الاستماتة فى الثورة الفلسطينية

ولو كانت هذه الثورة شبت فى فلسطين فى أعقاب الاحتلال الانجليزى ، لكانت أهول وأروع ، فقد كانت البلاد غاصة بالسلاح والذخيرة ، ولكن الخطر على العرب من « الهجرة الصهيونية » لم يكن قد تجسد كما تجسد الآن ، ولا كان العرب فى البلدان الأخرى — فضلا عن فلسطين — قد أفاقوا من صدمة الغدر الاستعمارى بهم . أما الآن فقد صار الخطر على عرب فلسطين حقيقة يحسها كل واحد فى نفسه وفيما حوله . وانتسخ الأمل فى أن يفىءَ الانجليز إلى العدل ويؤثروا القصد بعد أن رآهم العرب يهملون ما أوصت به وحضت عليه ثلاث لجان من لجان التحقيق جاءت من لندن إلى فلسطين وأجمعت على أن الهجرة يجب أن تقف لأن البلاد لا تحتمل استمرارها . وكان ذلك قبل سنوات عديدة ، فكيف الآن ؟ ؟

وقد تغيرت الأحوال فى البلدان العربية الأخرى ، فاستقر الأمر فى جزيرة العرب ، ووضع الصلح الكريم بين نجد واليمن الحجر الأول فى بناء الوحدة العربية ، وجاءت المعاهدة التى عقدت فى هذا العام بين العراق والدولة العربية السعودية ، فكانت خطوة أخرى واسعة فى سبيل الحلف العربى ؛ وهبت

مصر تطلب أن يسوى الأمر بينها وبين بريطانيا فبادرت بريطانيا إلى الدخول فى المحادثات التى انتهت منذ أيام إلى الاتفاق ؛ وتلتها سوريا فأضربت شهرين أو أكثر ، فلا بيع ولا شراء ، ولا أخذ ولا عطاء ، وتفاقمت الأزمة واستحال علاجها بغير النزول على حكم الواقع ، فردت فرنسا نفسها على مكروهها وعدلت عن غطرسة القوة التى لا تجدى أمام المقاومة السلبية الشاملة ، ودعت رجال سوريا إلى المفاوضة اقتداء ببريطانيا فى مصر والعراق . ولا تزال هذه المفاوضات دائرة ؛ وإذا كانت تتعثر ، فما من شك فى أن سوريا بالغة سؤلها عاجلا أو آجلا ، فما بقى من هذا مفر ، وإلا قامت القيامة فى وقت لا ينقص فرنسا فيه الأزمات والارتباكات والمشاكل العويصة

فالدنيا تتغير حول فلسطين ، والانجليز هناك جامدون لا يغيرون شيئاً من سياستهم ، ولا يبدلونها على ما تقضى به الأحوال الجديدة . وهذا هو وجه العجب منهم ، فان المعهد بهم أنهم أهل كياسة ومرونة وحذق ، وأنهم أساتذة بارعون فى تكييف سياساتهم وفق الأحوال . ولكنا نراهم الآن يجزعون من الاتفاق المنتظر بين فرنسا وسوريا ، ويشفقون على فلسطين من عدوى الاستقلال السورى حتى ليقال إنهم سعوا سعيهم عند فرنسا ليحبطوا الاتفاق أو يؤخروه على الأقل حتى يفرغوا من ثورة فلسطين

ويبدو لنا أن عناد الانجليز فى فلسطين يرجع الى سببين : أحدهما أنهم يريدون أن يجىء اقتراح وقف الهجرة من الصهيونيين أنفسهم ، مصانعة منهم للنفوذ المالى للصهيونية فى بلادهم وفى العالم كله . وهم لا ينكرون أن العرب على حق فى المطالبة بوقف الهجرة والاكتفاء بما كان الى الآن ؛ ثم إنهم يعرفون أن وقف الهجرة لا يناقض ما وعدوا به من إنشاء الوطن القومى ولا ينافى عهد بلفور ، لأن هذا الوعد كان بانشاء الوطن « فى » فلسطين لا بجعل فلسطين كلها وطناً قومياً للصهيونية . وقد تم ذلك وأنشئ الوطن وتحقق الوعد وبرت إنجلترا بالعهد . ثم إن العهد نفسه مقيد بالمحافظة على مصالح أهل فلسطين الأصليين . فاذا وقفت الهجرة فانها تقف تنفيذاً للعهد ، كما أبيحت تنفيذاً للعهد . ولكن الحكومة البريطانية تتلكأ حتى تتقدم اللجنة الصهيونية باقتراح الوقف بعد أن تتبين لها استحالة الاستمرار

والسبب الثانى أن بريطانيا تروم أن تخضع العرب فى فلسطين وتكرههم على إلقاء السلاح قبل أن توفق سوريا فى مفاوضة فرنسا ، لأن العود الى الثورة يكون عسيراً جداً ، ولا بد من انقضاء فترة طويلة تستريح فيها الأمة من مجهود الثورة وتستجم . والمعهود فى الانسان أن الحماسة تنبه أعصابه وتشدها فلا يكاد يشعر بعظم الجهد الذى يبذله والمشقة التى يعانيها ، ولكنه بعد أن يفرغ من ذلك ويسكن لا تكاد حاجته الى الراحة تنقضى . وهذا هو الذى تعول عليه بريطانيا فى فلسطين ؛ فهى تلج فى العناد وتأبى إلا العنف فى القمع وتصر على التسليم والسكون قبل أن تعد بشىء أو تظهر استعدادها لاجابة المطالب العربية ، لعلمها أن العرب إذا سكتوا فبعيد جداً أن يثوروا كرة أخرى إلا بعد فترة راحة طويلة . وإلا فتى عهدنا الانجليز يقاتلون فى سبيل غيرهم ويسخون بدمائهم هذا السخاء من أجل شعب آخر ، ولا سيما إذا كان هذا الشعب لا يقاتل ولا يدافع عن نفسه بل يلقى عليهم وحدهم عبء الدفاع كله ؟ ؟ فليس حرص الانجليز على الوطن القومى وإنما هو على مركزهم فى فلسطين ، وهم لا يبأون شيئاً بوعد بلفور فقد نقضوا ألف وعد ووعد مثله ولم يعدموا مسوغاً ، وإنما الذى يخشونه هو أن يترقى العرب فى مطالبهم من وقف الهجرة إلى جلاء الانجليز أنفسهم عن بلادهم . فما يخفى عليهم أن قضية الوحدة العربية أو الحلف العربى تتقدم ، وأن الثقة بأمكان ذلك تعظم وتقوى ، وأن الايقان بتحقيق هذا الأمل يعمر الصدور ، ولكنا كنا نظن أن الانجليز أبعد نظراً مما يبدون الآن فى فلسطين ، فأن العرب أصدقاء طبيعيون لبريطانيا ؛ وهم يؤثرون محالفتها على سواها لأنها دولة شبعت واكتفت فحسبها أن تتحفظ بما لديها وأن تستبق بغير ما فى يديها . فالعرب لا يتوجسون منها كتوجسهم من دولة كايطاليا تحدثها آمالها بنشر الدولة الرومانية التى عفى عليها الزمن . ومن مصلحة بريطانيا أن تضمن ود الأمم الواقعة على طريق امبراطوريتها وأن تثق بمعونتها ووفائها لها عند الحاجة ، وبغير ذلك لا ندرى كيف ترجو السلامة وتأمن أن تتبعثر أجزاء أمبراطوريتها تبعثر حبات العقد ؟ ؟ ولكن سلوكها فى فلسطين ينفر العرب جميعاً فى كل رقعة من رقاع الأرض ويسود قلوبهم ويوغر صدورهم ، والعرب أمة تكبر العدل كائنة ما كانت الأغراض المحجوبة والغايات المستورة ؛ وليس فى وسعهم أن يعذروا بريطانيا وهم يرون عرب فلسطين